دیانات ومصادر

الوحي ومصادر التلقي في الديانة الهندوسية

عبيد الله الباقي أسلم
المدينة النبوية

من المعلوم أنّ أهمّ خصائص الديانة: مصادرها؛ فهي التي تميزها بين الديانات الأخرى، ومع كثرة المتعبين للديانة الهندوسية ليس لها مؤسس، ولا واضع لمصادرها المقدسة، بل هي مجموعة من التقاليد والعادات والأفكار والعقائد التي تناقلتها ألسن الزعماء والشعراء والحكماء والفلاسفة الهندوسيون عقبًا بعد عقبٍ، وجيلًا بعد جيلٍ، وعلى هذا لا يتصور الوحي في الديانة الهندوسية كالوحي في الديانات السماوية التي تستمد إلى نور من الله عزَّ وجلَّ، وتستند إليه، إلا أن بعض العلماء الهندوسيين يرون أن نصوص الفيدات إلهامية وموحى بها من الله عزَّ وجلَّ، وتعليماتها ربانية أزلية؛ ولا شكّ أنّ هذه الدعوى باطلة، ويدل على بطلانها ما يلي:

مسألة الوحي في الديانة الهندوسية:

إنّ الهندوسية ديانة متطورة ومجموعة من التقاليد والأوضاع تولدت من تنظيم الآريين لحياتهم جيلًا بعد جيلٍ بعدما وفدوا على الهند، وتلك التقاليد الهندوسية التي اعتبرت على مر التاريخ دينا يدين به الهنود ويلتزمون بآدابه(١).

فهي ديانة وضعية تشكلت من التقاليد والعادات والأخلاق والأساطير الروحانية عبر مراحل طويلة من الزمن(٢)، قال الدكتور «رادَها كِرِشْنا»: "إن الديانة الهندوسية لا تنتمي إلى

(١) ينظر: أديان الهند الكبرى (ص: ٣٧ - ٣٨)، والأديان الوضعية (ص: ٨٣ - ٨٤).
(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٢٤)، والأديان والمذاهب (ص: ٣٠٤)، والأديان الوضعية (ص: ٨٣)

شعب من الشعوب، بل هي ثمرات لتجارب الأمم التي أدت دورها في تكوين الفكر الهندسي"(١).

أما مسألة الوحي في الديانة الهندوسية ففيها اختلاف بين أهل العلم، ولتحقيق القول فيها لا بد من النظر فيما يلي:

أولًا: موقف الهندوس من إرسال الرسل:

للعلماء في تحديد موقف الهندوس من إرسال الرسل ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنهم ينكرون النبوات وإرسال الرسل(٢).

القول الثاني: أنهم لا ينكرون النبوات(٣).

القول الثالث: أنهم لا يثبون النبوات ولا ينكرونها(٤).

فالهندوس كانوا يعتقدون عقيدة الرسالة والنبوة في زمن الفيدات وقبله، ولكن بمرور الزمن تحولت هذه العقيدة إلى عقيدة الأفتار والتجسد(٥).

ثانيًا: الموقف من إلهامية الويدات:

لقد وردت أقوال مختلفة ونظريات متباينة في هذه المسألة:

القول الأول: أنّ الويدات إلهامية(٦).

القول الثاني: أنّ الويدات غير إلهامية(٧).

القول الثالث: متن الويدات إلهامي، وشرحها غير إلهامي(٨).

فعلى هذاأن الفيد ليس اسم كتاب إلهامي موحى بها من الله عزَّ وجلَّ، بل هو مجموعة من الأجزاء المنتشرة من تعليمات الزهّاد والنسّاك الهندوس في القرون المظلمة قبل الميلاد(٩).

والحاصل: أنّ من العقائد الرئيسة:

(١) ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٥٢٨ -٥٢٩).

(٢) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٣٧)، الفرق بين الفرق (ص: ٢٧٨)، الملل والنحل (٢/ ٢٣١ - ٢٣٢).

(٣) ينظر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مرذولة (ص: ٧٥).

(٤) ينظر: دعوة الهندوس إلى الإسلام (ص: ٩١).

(٥) ينظر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مرذولة (ص: ٧٥)، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٧١٥).

(٦) ينظر: أديان الهند الكبرى (ص: ٣٨)، والأديان الوضعية (ص: ٨٤)، الديانات والعقائد، (ص: ٨٨)، وتاريخ هندي فلسفه [تاريخ الفلسفة الهندية] (١/ ٣١)

(٧) ينظر: دعوة الهندوس إلى الإسلام (ص: ٥٨).

(٨) ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٥٣٤ - ٥٣٥).

(٩) المصدر السابق (ص: ٥٣٤).

عقيدة «أفتار»: وهي نزول الإله إلى الأرض بصورة البشر(١)، وهذه هي العقيدة التي قد حلّت في الديانة الهندوسية محل الرسالة السماوية منذ عام ٨٠٠ ق.م؛ وبذلك قد استغنى الهندوس عن النبوة والرسالة، ولم يفكروا فيها مطلقًا(٢)؛ فلا يمكن تصور الوحي فيها كالوحي في الإسلام؛ لأنه صلة بين الرب وبين من يصطفيه من خلقه ليتحمل أمانة التبليغ عن الخالق إلى الخلق(٣).

مسألة مصادر التلقي في الديانة الهندوسية:

للديانة الهندوسية مصادر كثيرة جدًا حتى جاوزت المئات ووصلت إلى الألوف، ومن أهمها:

أولًا: الأحبار والرهبان:

وذلك بأنّ جميع الكتب المقدسة في الهندوسية معتمدة على الروايات المنتشرة على ألسنة الرهبان والزهاد والنساك(٤)، والريشين والحكماء هم الذين صنعوا الويدات وألّفوها ورتّبوها ونظّموها من عند أنفسهم(٥) ثم أظهروها للناس(٦).

ويدل على ذلك ما يلي:

أ – الويدات نفسها: ففي بداية كل فصل من فصول الويدات مكتوب اسم الريشي واسم الإله الذي صنعت له الأبيات وقيلت له الأناشيد.

ب – أن الويدات هي مجموعة من كلام أربعمائة وأربعة عشر (٤١٤) ريشيًا توجد أسماؤهم في الويدات.

ج – بعض أبيات الويدات يدل صراحة بأن الريشيين هم الذين صنعوه واخترعوه(٧).

د – قال العالم الهندوسي «بِهَارِي لال وَرْمَا»: "إن الفيدا ليس اسم كتاب بل هو مجموعة من أفكار النساك الهندوس"(٨).

(١) المصدر السابق (ص: ٥٤٦ – ٥٤٧).
(٢) ينظر: دعوة الهندوس إلى الإسلام (ص: ٩٢).
(٣) ينظر: الرسول والوحي (ص: ٢٣٧).
(٤) ينظر: أديان الهند الكبرى (ص: ٣٤ – ٣٥)، وفصول في أديان الهند (ص: ١٨ – ١٩).
(٥) ينظر: دعوة الهندوس إلى الإسلام (ص: ٥٨).
(٦) ينظر: الديانات والعقائد في مختلف العصور (ص: ٨٨).
(٧) ينظر: دعوة الهندوس إلى الإسلام (ص: ٥٨ – ٥٩).
(٨) ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان

هـ - قال «جواهر لال نهرو»: "يرى كثير من الهندوس بأن الويد كتاب إلهي، وفي رأي هذا أسوأ حظنا؛ لأن بها تختفي حقيقته منا، والويد مجموعة المعلومات لتلك العصور، وهو خزانة لكثير من الأشياء الغير المرتّبة"(١).

ثانيًا: الفيدا (VEDA):

معنى الفيدا: العلم والمعرفة(٢).

كان يطلق على لفظ «الفيدا» على جميع الكتب الهندوسية من «سَنْهَتا»، و«بَرَاهَمَنْ»، و«آرْنِك»، و«أُبانِشَادْ» ثم خص لفظ «الفيدا» بأربع كتب دينية وهي: ١- الريج ويدا، ٢-ياجور ويدا، ٣- سام ويدا، ٤ - أثار ويدا(٣).

تفاصيل الفيدات(٤):

الأول: الريج ويدا(RIG VEDA):

وهو يتكوّن من ألف وسبعة عشر (١٠١٧) نشيدًا دينيًّا، مقسم إلى عشرة فصول، تتحدث الستة الأولى منها عن أسر المنجمين والكهان، وتنسب إليهم مزاعم كثيرة تتعلق بالإبداع والتأثير، وتتحدث الأربعة فصول الأخرى عن التعاليم والواجبات الدينية، ويتميز الفصل العاشر بشمول النظرة وعمق التحليل، و«الريج ويدا» هو أشهر الفيدات الأربعة وأهمها وأشملها بل هو أم الكتب الهندوسية.

الثاني: ياجورويدا (YAJUR VEDA):

وهو يشتمل العبادات النثرية التي يتلوها الرهبان عند تقديم القرابين، ويعتقد الهنود أن تلاوتها تحقق الخير وتجلب البركات.

الثالث: سام ويدا (SAM VEDA):

وهو يحتوي على ألف وثمانمائة وعشر (١٨١٠) بيتًا، وجميع هذه

الهند (ص: ٥٣٤).

(١) ينظر: هندو دهرم ايك مطالعه [دراسة في الديانة الهندوسية] (ص: ٢٢).

(٢) ينظر: فصول في أديان الهند (ص: ٢٠)، والأديان والمذاهب (ص: ٣٠٤).

(٣) ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٥٣٤).

(٤) ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٥٣٦ - ٥٣٨)، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٢٥)، والأديان الوضعية (ص: ٨٥ - ٨٨).

الأبيات توجد في «الريج ويدا» ما عدا خمسة وسبعين بيتًا، وهو يشتمل الأغاني التي ينشدها المنشدون أثناء إقامة الصلوات وتلاوة الأدعية.

الرابع: أثارويدا (ATHAR VEDA):

وهو يشتمل على مقالات في السحر والرقى والتوهمات الخرافية مصبوغة بالصبغة الهندية القديمة، وفيه أدعية للحفظ من الحيوانات المفترسة، وكما أن فيه أدعية لحصول الراحة والأمن والربح في التجارة والقمار.

البران (PURAN):

يعتبر «البران» الفيد الخامس عند جماهير الهندوس؛ لأن فهم الفيدا موقوف عليه، فالذي يريد أنه يعرف حقيقة الفيدا فعليه ب«البران»؛ لأنه يوضح كل حكاية رمزية في الفيدا بالتمثيل والراوية القصصية، والمقاصد الكبرى لكتب «البران» إثبات عقيدة «أفتار» وهي: نزول الإله إلى الأرض بصورة البشر(١).

ثالثًا: الأُبْانشاد (UPNISHAD):

هي أسفار تاريخية للفيدات، ومجموعة من الشروح والحواشي التي أثارتها الفيدات عند حكماء البراهمة ورجال الدين، ففيها علوم وتجارب الرهبان والنساك من الهنادك الذين مارسوا حياة الرهبانة،ويرى الهنود أنها مقدسة، وجزء مكمل للفيدات نفسها، ويحيطونها بدرجة كبيرة من السرية؛ فحقيقتها لا يزال يكتنفها الغموض والظلمات التاريخية؛ فلا يعرف مؤلفها ولا عهد تأليفها(٢).

رابعًا: قوانين «مَنُو»:

ينسب هذا المصدر إلى حكيم هندي اسمه «مَنُو»، ويشتمل كتابه على تفصيل لعقائد الدين البرهمي وعباداته ومعاملاته ونظمه المختلفة فهو بمثابة الفقه عند الهندوس، وكما أنه يشتمل على نشأة الكون والإنسان وتقسيم الطبقات، ويرى بعض الهنود أن هذا

(١) ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٥٤٦ – ٥٤٧).

(٢) ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٥٤٢)، ينظر: الأديان والمذاهب (ص: ٣٠٦).

الكتاب ليس مقدسًا، لكن الغالبية العظمى من الهنود يعتبرونه كتابًا مقدسًا حيث ألهم به «مَنُو»، فكتاب «مَنُو» من أهم المصادر للديانة الهندوسية؛ لأنه قد استوعب جميع نواحي هذا الدين، ولم يغادر أصلًا أو فرعًا إلا وفصله تفصيلًا مع محافظته في سائر تفصيلاته على نصوص مستمدة من كتب «الفيدا»(١).

والحاصل: أنّ المصدر الأصلي في الديانة الهندوسية هو: الأحبار والرهبان والريشيون والحكماء وجماعة من أهل العلم؛ لأنهم دوّنوا جميع الكتب المقدسة في الهندوسية، فـ«الفيدات» (الكتب الأربعة) هي أهم مصادرها، و«البران» هو مدخل لفهم التعليمات الفيدية، و«الأبانشاد» هي عبارة عن مجموعة الشروح والحواشي على الفيدات، و«قوانين مَنُو» هي بمثابة فقه الشريعة وآداب السلوك الهندوسية.

الكتب المقدسة الأخرى عند الهندوسية:

هناك كتب أربعة أخرى تعتبر في القمة بين كتب الهندوس المقدسة، وهي:

أولًا: مهابهارتا(MAHA BHARAT):

وهو عبارة عن قصة تاريخية وقعت بسبب امرأة تسمى «دوربدي» حوالي سنة(٩٥٠ ق.م)، وهي تصف حربًا بين أمراء أسرة ملكية واحدة، ولكن جميع ملوك الهند اشتركوا فيها مع هذا الجانب أو ذاك، بل اتخذ الآلهة دورًا في المعركة أيضًا كما تروى الأقاصيص ذلك، وانتهت هذه الملحمة الكبرى بفوز أحد الفريقين، ولكن هذه القصة تتخللها الأفكار الفلسفية في الدين والسلوك على لسان أحد الأبطال وهو «كِرِشْنا» مما جعل هذا الكتاب في القمة في الأخلاق والآداب والسلوك عند الهندوس(٢).

ثانيًا: كيتا (GITA):

هذا الكتاب يُعدّ من أهمّ الكتب

(١) ينظر: الأديان والمذاهب (ص: ٣٠٧ - ٣٠٨)، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٥٤٢).

(٢) ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٥٤٨ - ٥٥٠)، وأديان الهند الكبرى (ص: ٧٥)،والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٢٥).

المقدسة لدى الهندوس، وهو حافل بأدق المعتقدات والأفكار الهندوسية، وهو يشتمل على تعليمات ونصائح ألقاها البطل الهندوسي «كِرِشْنَا» أمام قائد الجيش «أَرْجُن»، ولكن كبار علماء الهندوس يرون أنّ هذا الكتاب تخييلي وتمثيلي؛ فلا يؤمنون بوجود بطل اسمه «كِرِشْنَا»، كما قال الزعيم الهندي «غاندي»: "أنا لا اعتقد بوجود «كِرِشْنَا» ولا علاقة بينه وبين التاريخ الهندوسي"(١).

ثالثًا: رامايان (RAMYAN):

هذا الكتاب عبارة عن قصة تاريخية وقعت بين رجل اسمه «راما» وبين ملك سيلان اسمه «رافان»؛ حارب الرجلان وانتهت الحرب بفوز «راما»؛ فهي رواية قصصية انتشرت في أنحاء الهند من قبل الميلاد، ولاتزال تأخذ مكانة عظيمة في قلوب الهندوس، وقد اشتملت هذه القصة على الأفكار السياسية أو الدستورية للحياة الهندية، وحظيت بأعظم تقديس واحترام لدى جماهير الهندوس(٢).

رابعًا: يوجا فاسستها(YOGA VASISTHA):

هذا الكتاب من أمهات الكتب الهندوسية، ولكن لا يعرف مؤلفه كالشأن في أكثر الكتب الهندوسية المقدسة، وهو منظوم يحتوي على أربعة وستين ألفًا من الأبيات، ومما يرجح أنّ يكون من عمل مجموعة من الناس لا من نظم شخص واحد، وموضوع هذا الكتاب: الفلسفة واللاهوت، حيث كان «فاسستها» يعلم تلميذه البار «رام جندرا» العلوم اللاهوتية، والعلوم الروحانية، وعلوم المراقبة التي توصل الإنسان إلى العالم الروحاني والملأ الأعلى حتى يتصل بـ«براهما» على حدّ زعمهم(٣).

---

(١) ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٥٥٠ - ٥٥١)، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٢٥)، وأديان الهند الكبرى (ص: ٧٩).

(٢) ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٥٥٢)، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٢٥)، وأديان الهند الكبرى (ص: ٩١).

(٣)ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٢٥)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٥٦٠)،

خلاصة القول:

كثرت الكتب المقدسة عند الهندوس حتى جاوزت المئات ووصلت إلى الألوف، وكلها مجموعة من العقائد والعادات والأخلاق والآداب والقوانين ليست لها صيغ محدودة المعالم بل أنشأتها أجيال من الشعراء والزعماء الدينيين، والحكماء الصوفيين، والفلاسفة الهندوسيين عقبًا بعد عقبٍ وفق تطورات الظروف وتقلبات الشئون، وتلقاها بعضهم عن بعض، ولم تُروَ إلا قبل المسيح عليه السلام بقرون معدودة.

المقارنة بين مصادر التلقي عند المسلمين والهندوس:

إنّ الدين عند الله الإسلام، وهو قائم على وحي من الله عزَّ وجلَّ، ومبنى على دلائل الكتاب والسنة(١)، وكل ما يحتاج الناس إليه في دينهم فقد بيّنه الله ورسوله بيانًا شافيًا(٢)، فللإسلام أصلان فقط، القرآن والسنة الصحيحة(٣)، وما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به(٤)، فأهل الإسلام لا يدينون ولا يعتقدون إلا في ما جاء وحيًا من الله جل وعلا (٥)، ومصدرهم الأصيل وحي ونور من الله تعالى فلم يقع فيه التحريف ولن يتغير أبدًا.

وأما مصدر التلقي عند الهندوس فهو ليس وحيًا أصلًا، بل هو عبارة عن مجموعة من العقائد والأفكار والقوانين من النساك والرهبان الهندوسيين، كما قال الدكتور أحمد شلبي عنها: "فكثيرًا ما اشتملت هذه الكتب أفكارًا بدائية وأساليب ركيكة، بل إن مصدر تقديس هذه الكتب لديهم هو على العموم الاتجاه الروحاني، والموافقة على تأليه أي كائن أو تقديس أي كتاب دون حاجة إلى إبداء الأسباب"(٦).

***

وأديان الهند الكبرى (ص: ٨٧ – ٨٨).

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦٤).

(٢) المصدر السابق (١٧/ ٤٤٣).

(٣) ينظر: الدين الخالص للقنوجي (٣/ ٣٦).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٤١).

(٥) ينظر: مناقب الشافعي (ص:٤٦٢).

(٦) ينظر: أديان الهند الكبرى (ص: ٧٤)